

روسيا في مواجهة استراتيجية الولايات المتحدة الاحتوائية



إعداد وترجمة: ليلي زيدان عبد الخالق

أصبحت كلمات: «تغيّر الأوضاع»، «تغيير النظام»، شعاراً لغالبية السياسيين الأميركيين والمحللين السياسيين والصحافيين، لدى حديثهم عن تدهور قيمة العملة الروسية «الروبل». طبعاً المقصود به «النظام» هنا الرئيس فلاديمير بوتين. أي أنّ الهدف من تمهّد الغرب في سياسته المعادية لروسيا، الأمل بأنّ تنتفض الجماهير بسبب المشاكل الاقتصادية الحالية الناتجة من سياسته، وتطيح بالرئيس بوتين الذي يحكمها على مدى 15 سنة تقريباً.

هذا ما يتصوره الجاسوسون ما وراء المحيط. أما الأجانب الذين يعيشون ويعملون في روسيا فلهم وجهة نظر مغايرة تماماً. تأخذ على سبيل المثال، مراسل صحيفة «كريستيان ساينس مونيتور» الأميركية وير فريد، الذي يتساءل: «هل سيضرب هذا بوتين؟». ويجيب نفسه قائلاً: «لا أبداً، لأنّ نتائج استطلاعات الرأي الكثيرة التي أجريت مؤخراً، تشير إلى أنّ أكثر من 80 في المئة يساندون بوتين. لقد تعود الروس على كل شيء، وهم لا يميلون إلى الفوضى ولا إلى الاحتجاجات. وعموماً، يدعمون سياسة بوتين إلى كافة المجالات، سواء كان هذا بالنسبة إلى انضمام شبه جزيرة القرم أو دعم الانفصاليين في جنوب شرقي أوكرانيا. من الصعوبة جداً، تصوّر الدرجة التي يجب أنّ تصلها الاضطرابات والمشاكل الاقتصادية، لكي يستسلم الروس للغرب.

أما رئيس قسم التحليل في شركة «ستراتفور» التي يطلق عليها أحياناً اسم «الاستخبارات الخاصة»، جورج فريدمان، فيقول: «لقد التقيت خلال وجودي في موسكو المسؤولين والطلاب وأناساً عابدين، ونشرت تقريراً عن ذلك في مجلة فوربس. يبدو لي أنّهم (الروس) على درجة عالية من الشجاعة، وأنه لا يمكن لاضطراب قيمة الروبل أن يغيّرهم».

ويضيف: «اللؤلؤة الأولى، كنت أتوقّع أنّ الجميع سينشغلون بالمشاكل الاقتصادية، انخفاض قيمة الروبل، وانخفاض أسعار النفط الخام في الأسواق العالمية، وبطء النمو الاقتصادي، والعقوبات الغربية، التي يعتقدون في الغرب أنّها ستدمّر الاقتصاد الروسي. لقد تسبّب انخفاض قيمة الروبل في تخلي البعض عن القيام برحلات سياحية إلى خارج روسيا، على رغم أنّ الروس بدأوا يشعرون بتأثير العوامل المذكورة، نتيجة ارتفاع أسعار بعض المواد». ويقول أيضاً: «أعتقد أنّ هناك عوامل أخرى لهذا الهدوء، ليس بين المسؤولين، بل بين الناس البسطاء، لأنّ يجب التعامل مع هذا بحذيرة تامة. لقد أكدّ الناس البسطاء، أنّ صعوبة الحياة في روسيا أمر متعارف عليه، والأزدهار أمر استثنائيّ. الناس على استعداد دائم للحياة الصعبة».

لقد اجتاز الشعب الروسي مآسي حكم يلتسين في تسعينات القرن الماضي، والفترات العصيبة التي سبقتها أيضاً. وعلى رغم كل هذا، كان هذا الشعب يخرج من الحروب منتصراً ومحافظاً على كيانه الوطني، وله الحق في أن يفخر بذلك. إنّ قوّة الروس تكمن في أنّهم يتمكنون من تجاوز الأوضاع التي يمكن أنّ تدمّر شعوباً أخرى. كما أوضح لي الذين التقيتهم، إن الروس يتوخون ضد المخاطر ويلتقون حول سلطتهم مهما كان موقفهم منها. لذلك يقول الروس، لا تأملوا أن تستسلم موسكو مهما كانت العقوبات قاسية وشديدة. فإذا كان الأمر كذلك فإن الأميركيين والأوروبيين يخدعون أنفسهم في شأن تأثير العقوبات التي فرضوها على روسيا. أنا شخصياً لا أتق بفأذنتها». وإذا كان من الصعوبة إضافة شيء ما إلى هذا الرأي، فإنّ روسيا، رئيساً وحكومة وشعباً، ماضية في مواجهة أيّ نوع من الحروب التي قد يشنها الأميركيون عليها، سواء كانت باردة، أو «غيبية» عبر عقوبات معيّنة، أو «أغبي» عبر «دفن» الأوروبيين لأن يكونوا رأس حربة في هذه المواجهة.

الولايات المتحدة «خلق ستارة حديدية حول روسيا»، وهذا يعني أمرين - لا انزعالية أو خصومة عقلية مع أوروبا وأميركا، والتوصل إلى تحقيق تواصل على مستويات أوسع بهدف تطوير الشراكات في كل من الغرب والشرق على حد سواء. وضمن هذا الإطار العام، فإن روسيا ستركز جهودها على توسيع رقعة وجودها في عدد من المناطق مثل آسيا والمحيط الهادئ وأفريقيا والشرق الأوسط وحتى أميركا اللاتينية، ويبدو أنّ لدى بوتين اهتماماً خاصاً بآسيا والمحيط الهادئ، كما أنه يضع الصين نصب عينيه على رغم عدم ذكر هذا علانية.

إنه السؤال الكبير الذي يطرح نفسه، والتزويق والتفتك اليوغوسلافي عينه هناك. يظهر خطاب بوتين رفضاً تاماً للمتطلبات الأميركية من أوكرانيا وروسيا. ومن الواضح أنّ الأخيرة لا تردّد من العقوبات الغربية المفروضة ضدها، بل هي تستعدّ لفترة أطول من جمود في علاقاتها مع الولايات المتحدة. ولا يمكن للعقوبات أن تكون قاضية لدولة مثل روسيا، متطهشة للعلامة والانفتاح، عضواً دائماً في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، والدولة المتقدمة بالموارد البشرية والفكرية والعلمية الهائلة.

ويعد كل هذا، هل ما يجري، فقط مجرد مواجهة؟ في الواقع، وكما ترى روسيا المسألة، إنه صراع وجودي مصري، لا يبدو أقلّ تامة وصعوبة من غزو هتلر في القرن الماضي «والذي خطط لتدمير روسيا والدفع بنا بعيداً إلى ما وراء الأورال». فقد حذر بوتين بلهجة متحدية، أنّ استراتيجية الغرب الاحتوائية محكومة. في نهاية المطاف -بمواجهة مصير الاحتياح النازي نفسه، وأكد مراراً وتكراراً أنّ روسيا لن تسمح للنتّة بأن تقبل إملاءات من جهة ذات قوة، أيّاً كانت هذه الجهة.

وأشار بوتين موضعاً رئيسياً يتعلّق بمحاولات الولايات المتحدة نشر نظام دفاع صاروخي معطل، يهدف إلى تحقيق التوازن الاستراتيجي العالمي. وأكد بوتين أنّ روسيا لن تقع في فخّ سياسات التسلح مع الولايات المتحدة، لكنها ستستخدم قدراتها لإيجاد «حلل مبتكرة» من شأنها أنّ «تضمن الثقة والأمن المشترك». إنها دفاعات روسيا في الظروف الجديدة.

لم تدع موسكو تتوقع أنّ الرئيس باراك أوباما سيغي بما وعد به من استنارة فضية تحقيق النظام الصاروخي الدفاعي ووضعها على طاولة المفاوضات مع روسيا. ما يترك روسيا من دون أي خيار سوى اللجوء إلى التدابير المضادة الهادفة إلى إحباط «بحث» الولايات المتحدة عن «الأمن النووي»، وسعيها الدؤوب إلى تحقيق التفوق العسكري على روسيا.

وإطلاقاً من هذه الخلفية، ما هي الخيارات المتاحة أمام روسيا في سياستها الخارجية؟ قارب بوتين نهجاً متعزّذ الجوانب. أولاً، ستواصل روسيا - وبحزم - اتباع مسارها السياسي الخارجي المستقلّ نفسه الذي تنتهجه لحماية نفسها من «التنوع العالمي». وبعبارة أخرى، أنّ روسيا تسعى إلى فرض نظام عالمي متعزّد الإقطاب على أساس الالتزام الصارم بالقانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة ومواجهة الهيمنة العالمية للولايات المتحدة. ثانياً، لن تقع روسيا في فخّ الانزلاق إلى حرب باردة جديدة في وجه محاولات

ضعف الولايات المتحدة الاستراتيجي. يلحم مهزّجو الناتو بشنّ حرب على روسيا بهدف التوصل إلى فرض نظام صارم بحق القيصر الروسي. لكنهم يدركون جيداً أنّه سيكون عليهم مواجهة الترسّانة الروسية التي يمكن نشرها في كل مكان. فختلّ مئات من الطائرات الروسية المدمّرة تغير على بلدان الاتحاد الأوروبي المدمّرة مالياً والتي تتننّ تحت وطأة طاعون التفشّف القاتل.

وكان ذلك لا يكفي، فما من أحد يعرف دقة قدرات الناتو الاستراتيجية سوى الاستخبارات الروسية. موسكو أوضحت أنّ روسيا تملك ترسانة هائلة تزيد على 5000 رأس نووي، وأنها مستعدة للدفاع بشراسة عن الأمة ضدّ أيّ عدوان محتمل من الناتو. من دون الأخذ بالاعتبار التحالف الروسي - الصيني الذي قد يغيّر من قصة قواعد اللعبة الأوراسية في العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين.

لكن فقط في حال التحمور حول آسيا، فإنّ الصين تترك يقيناً أنّ الأسطول الأميركي قد عفا عليه الزمن، وأنّ تطوّرات الصين التقنية تسير بطريق أسرع بكثير من أيّ تطوّر حاصل في الولايات المتحدة.

تتوسّع روسيا لتكون الإمبراطورية التي لا تقهر في القرن الحادي والعشرين. وهنا، يشرح وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف وبإسهاب كيف أنّ كل ما يدور من أخبار مجرّده هراء.

فالحقيقة أنّ موسكو استوحت خدعة بريجينسكي في أوكرانيا، فلا عجب إذاً، بحسب رأيه أنّ تكون إمبراطورية الفوضى تهويح إلى منطلق الهيستيريا الحربية. لذا، نرى أنّ الوقت قد حان لتقديم عرض متواضع نوّش من قبل عدد من المحللين الأميركيين والأوروبيين والآسيويين واستوجب قلقهم في الأساس، الأمر بسيط جداً، ويعود تحديداً إلى ألمانيا... مع الحرص على عدم استنساخ ستالين.

وفي بداية الحرب العالمية الثانية، كان قد أخذ شرق بروسيا من ألمانيا، وما لبث أنّ انتقل إلى شرق بولندا، ثمّ إلى أوكرانيا. القسم الشرقي من أوكرانيا يعود في الأصل إلى روسيا، وقدمه ستالين لأوكرانيا. الولايات المتحدة.

أتريد لعبة حربية جديدة، يا راعي البقر؟ وقياساً على التهديد بحرب نووية جديدة في أوروبا - الوهمية أم الحقيقية. من غير المجدي مقارنة قدرات القدرات النووية لكل من الولايات المتحدة وروسيا على أساس الأرقام لا على مستوى النوعية. وإذا أخذنا بعين الاعتبار الناتج المحلي الإجمالي لكل من ألمانيا وفرنسا وإنكلترا ومقارنتها بذلك الروسي؛ سيكون انتصاراً واضحاً ويغالبية ساحقة. ثمّ تقوم بتفخّص السيناريو النووي الاستراتيجي، فإنّ القصة ستختلف كثيراً. فالناتج الإجمالي المحلي وحده، لن يحقق الفوز بأيّ شكل من الأشكال. كذلك تعيش النخب في واشنطن وويل ستريت رهاب الحرب النووية، كما تؤكّد بعض الدراسات التي أجريت حول هذه المسألة، ملمحة إلى

التي أجريت حول هذه المسألة، ملمحة إلى

التي أجريت حول هذه المسألة، ملمحة إلى

الحرب النووية عادت ممكنة

وكتب بيبي إسكوبار، وهو مراسل لـ«RT» تائمز» في هونغ كونغ، ومحلل لـ«TomDispatch»، ومساهم بشكل متكرّر في مواقع وبرامج إذاعية بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط، مسألاً: كيف يمكن لروسيا وألمانيا أن تنقذ أوروبا من الحرب؟

ويضيف: أوصلت الولايات المتحدة الأوكراني الموالي بيتر بوروشينكو والذي يجسد حالياً بطولية الرخصة الأوليغارشية للأقلية الأوكرانية، والمرجح أنه بعد عدد من الإصلاحات التي قام بها، سيقدّم بطلب الانضمام إلى الناتو. لكن هل أنّ الولايات المتحدة وروسيا والناتو يصارعون في دوامة العنف التي ستقود إلى حرب حتمية في أوروبا؟

فلكن جديين هنا. قد يشعر البعض أنهم ضمن مصطلح «تخطيم الحزام»، المقاطعات والأفراد الذين تقلصوا ما بين الشر الجرماني الألماني والسدب الروسي. وما نحن نقف - أمام حزام متخطم بعيداً من أوكرانيا؛ إنها بيلاروسيا التي أصبحت عضواً في حلف شمال الأطلسي. فهل يتحمّ على أوكرانيا تحطيم هذه المنطقة العازلة وتحطيمها كشرط أساس لقبولها، ما يعني أنّ حلف شمال الأطلسي قد أصبح مزروعاً حقيقة وواقعا على الحدود الروسية الغربية؟

أعلنت واشنطن لنوّ أنّه سيكون من السابق لأوانه تحضير المركبات العسكرية في أوروبا لاستخدامها في التدريبات أو العمليات العسكرية المحتملة. ما يتناغم تماماً مع مفهوم الولايات المتحدة المعروف التوازن في التزامها نشر الأمن في أوروبا والولايات المتحدة سيُجران على تحقيق التوازن في التزامها نشر الأمن في أوروبا الشرقية ضدّ العدوان الروسي المحتمل.

لا تزال أوكرانيا كغيرها من دول البلطيق وبولندا يعيشون حالة شبه هستيرية بسبب حرب نووية محتملة بين الولايات المتحدة وروسيا عوضاً عن العودة مرّة أخرى إلى طاولة النقاش. وبعض الخبراء يتساءلون: لماذا سيكون على الولايات المتحدة الدفاع عن أوروبا في الوقت الذي يصل فيها الناتج الإجمالي الأوروبي إلى أكبر من ذلك الذي في الولايات المتحدة.

أتريد لعبة حربية جديدة، يا راعي البقر؟ وقياساً على التهديد بحرب نووية جديدة في أوروبا - الوهمية أم الحقيقية. من غير المجدي مقارنة قدرات القدرات النووية لكل من الولايات المتحدة وروسيا على أساس الأرقام لا على مستوى النوعية. وإذا أخذنا بعين الاعتبار الناتج المحلي الإجمالي لكل من ألمانيا وفرنسا وإنكلترا ومقارنتها بذلك الروسي؛ سيكون انتصاراً واضحاً ويغالبية ساحقة. ثمّ تقوم بتفخّص السيناريو النووي الاستراتيجي، فإنّ القصة ستختلف كثيراً. فالناتج الإجمالي المحلي وحده، لن يحقق الفوز بأيّ شكل من الأشكال. كذلك تعيش النخب في واشنطن وويل ستريت رهاب الحرب النووية، كما تؤكّد بعض الدراسات التي أجريت حول هذه المسألة، ملمحة إلى

في أوكرانيا، وأنّ تطبيع العلاقات مع موسكو تندرج ضمن مصالح أوروبا الجوهريّة لتحقيق الأمن والاستقرار في المنطقة. فعلى العكس من الولايات المتحدة، التي لا تلقي بالاً إلى العلاقات التجارية والاقتصادية مع روسيا، تتمركز السوق الأكبر للضاعة الروسية في أوروبا. وقد أصبح صعباً على الولايات المتحدة أن تتشقّ حلق الأوروبيين برفضها عقوبات جديدة على روسيا. إذ بدنا نستشعر تمللاً واضحاً لدى سكان مناطق أوروبا الوسطى حيال مثل هذه العقوبات. ومن غير المحتمل أنّ تمدّ أوروبا يد العون العسكرية لأوكرانيا لتشعل حرباً بين أوكرانيا وروسيا.

لكن، يمكن الجانب السعي في عدم رغبة الولايات المتحدة بالاستسلام في مسألة استراتيجيتها الاحتوائية تجاه روسيا، حتى بعد أن يتغير النظام الحالي في البيت الأبيض عام 2017. فقد لمّح بوتين في خطابه إلى احتمال علاقات باردة جداً وطويلة الأمد لبلاد مع الغرب. وقد سيطرت فكرة حشد

وضعت الولايات المتحدة أوروبا في مواجهة مباشرة مع المشكلة الروسية. فمن الواضح أنّ الفوضى الحاصلة في أوكرانيا لن تنتهي في وقت قريب، وما من أحد يستطيع التكنن بالأشخاص الذين سيحكمون البلد في السنوات القليلة المقبلة. لكن الأمر لا يهدأ. مراهنات واشنطن على أنّ أوروبا ستبقى عالقة على البديل منها في الوحول الأوكرانية طالما أنّ الأزمة في البلاد باقية غير منتهية.

لمّح بوتين لقليل إلى أوروبا خلال خطابه. فأيّ أوروبا هي اليوم؟ هل تمتلك شخصيتها الخاصة؟ هل لديها صوت مستقل؟ في الحقيقة، إنّ الأمر الوحيد الجيد في كل هذه المعمة، إنه لا بد أنّ نلمس تحوّل في مواقف أوروبا يوماً ما.

تضّر أوروبا بنفسها في قطيعتها الحالية مع روسيا. وعليها أن تعيد التفكير. في مرحلة ما، في أنّها تمتلك مصالح مشتركة مع روسيا

